

واقع تحقيق المخطوطات في الجزائر بين الحفاظ على الهوية والمعالجة الرقمية-

الإسم: شهرزاد .
اللقب: بناني.
جامعة الجزائر

الملخص:

إنّ عملية تحقيق النصوص هي علم من جهة وصناعة واصطلاح وممارسة من جهة أخرى، لأن المقصود بعبارة إحياء التراث في عُرف المحققين والنقاد هي إبراز نصوص المخطوطات محققة موثقة قدر الإمكان ، مع الوثوق بعنوان المخطوط والثقة باسم مؤلفه ونسبته إليه وهكذا كانت متابعة ومراعاة هذه الضوابط والمعايير تساعدنا على أن نخرج نصًا موثقًا أقرب ما يكون إلى الصورة الأصلية على يد صاحبه، ولا ينبغي أبدا توجيه مسار التحقيق إلى معنى أن نلتبس للأسلوب النازل أسلوبا هو أعلى منه، أو نحل كلمة محل أخرى بدعوى أنها أولى بمكانها ، فهذه أساليب لا يرضيها التحقيق وتُعد انتهاكا خارقا للنص الأصلي وتضييعا للأمانة التي يجب التحلي بها، فالتحقيق ليس تحسينا وتصحيحا وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ فهذه اعتبارات تاريخية صارمة لها حرمتها، والحفاظ على المخطوط في الجزائر أصبح ضرورة ملحة سواء تحقيقا أو دراسة أو فهرسة أو رقمنة، وهاته الأخيرة هي محور المقال باعتبارها المشروع الذي يعكس ثنائية التراث والحداثة وكيف يمكن ترسيخ وسائلها للحفاظ على هوية التراث من التلف والضياع في سياق الحفاظ على التراث المادي المخطوط للجزائر، بحيث إن المعالجة الرقمية للمخطوط تمثل الوسيلة التقنية التي تعمل على تحويل الصورة الورقية إلى صورة إلكترونية، أما عن مدى استيعاب تحقيق المخطوطات في الجزائر للمعالجة الرقمية فقد تجسد في جهود أكاديمية وتنظيم مؤتمرات وندوات وملتقيات من طرف مخبر اهتمت بجمع ودراسة وتحقيق المخطوطات

الكلمات المفتاحية: تحقيق المخطوطات؛ المعالجة الرقمية؛ التقنية؛ التراث؛ الحداثة؛ الصورة الإلكترونية .

Summary:

The process of text making is science on the one hand and industry, reforme, practice on the other, the meaning of the revival of the heritage in the costum of investigators and critics is to highlight the manuscripts texts documented as possible.with trust in the title and made them , of the manuscript ana trust of the name of the author and attributed to it. And so following wy and daserving these controls and standards helting als to produce a documented a text closer to the original image by the owner the path of investigation should never be directed to the meaning of seaking a style that is better and lingher to it or to replacing another word with the claim that it is in the right place so these methods the investigation is not satisfied with it and it is like a violation of the original text and a breach of trust that must be there , this is not au improvement and e correction as much as it is a faithfulness to the performance required by the secretariat of history preserving the manuscript in Algeria it has become an urgent necessity wethat an investigation or study or indensing or digitization and the last is focus of the article as a project that reflects the dual heritage and modernity and how to consolidate their means to preserve the identity of the heritage of damage and lose in the context preserving the physical heritage. Manuscript of Algeria so that the digital processing of the manuscript represent the technical ways that transform the paper image in to an electronic image. As for the estent with the achievement of manuscripts in Algeria for digital processing has been embodied in academic efforts and the organization of conferance seminars and meetings by laboratories study and investigation of manuscripts.

Key words : Investigation of manuscripts ; Digital processing ; Technical ; Heritage ; Modernity ; Electronic image.

مقدمة:

تراث كل أمة هو رصيدها الباقي وذخيرتها الثابتة، والأهم بماضيها قبل أن تكون بحاضرها وما حرص الأمة العربية على تراثها إلا لكي تعيش حاضرا موصولاً بالماضي، وأول ما لنا من هذا التراث لغته التي كُتب بها والتي سطرت نصوصا خالدة، ودائما كانت ولا تزال الآثار النقلية جوهر المادة التاريخية، وتراث الأمة المخطوط جزء أصيل من كيانها وإحيائه ونشره تتسامى صعودا في مراقي الجهد والحضارة، وهو لا يزال يحمل في كثير من جوانبه معاني الابتكار والتجديد، ولعل أهمها الحكم على المؤلف وعلى عصره والتأريخ لفكره، فإلى جانب اعتبار أن في الحفاظ على المخطوط حفاظا على الهوية الوطنية فلا بد أيضا من التشديد على أهمية فكرة الحماية القانونية لحقوق هذا المؤلف في مجال الملكية الفكرية إضافة إلى الاهتمام بتأريخ هؤلاء الأعلام ورصد الخصائص الفردية التي تميز أعمالهم والتي تحمل في ثناياها الحياة الجماعية في ذلك العصر، لذا كان لابد من معرفة كل تلك الإنسانية التي أفصحت عنها وتلك التضاريس الفكرية والعاطفية والقومية التي أنبت هذا الفكر، والمخطوطات تعد جزءا مهما من التراث الذي أبدعته الحضارة العربية والإسلامية في مختلف حقول المعرفة الإنسانية، فتراث الأمة المخطوط جزء أصيل من كيانها ووجودها، ولقد تهاون العرب لزمان ليس بالقصير في الاهتمام بهذه المخطوطات، وقد يتفاجأ المرء عندما يجد عدد المحققين يعد على الأصابع وقد كان للمستشرقين حصة الأسد من نشر تلك المخطوطات، أما بالنسبة لاهتمام أبناء العربية فقد ظهرت في السنوات الأخيرة جامعات ومراكز علمية تهتم بجمع المخطوطات وتحقيقها ونشرها وتشجيع الباحثين على دخول غمار التحقيق.

وإذا كان المستشرقون قد بدؤوا بوضع القواعد العلمية لتحقيق النصوص ونشرها منذ أوائل القرن التاسع عشر، وجعلوا من التحقيق علما له أسسه ومنهجيته، وطبقوا ذلك على كثير من المخطوطات العربية، فهذا لا يعني أن تراثنا لم يعرف قواعد لتحقيق المخطوطات بل كان ذلك أمرا راسخا تبلور خاصة عند علماء الحديث الذين أعطوا العناية الكافية ووضعوا الضوابط الفارقة في رسم قواعد الرواية والضبط والنقل من أفواه المشايخ والرواة، وكذا أوجه مقابلة الأصول والمرويات والساعات وأصناف تحمل العلم المختلفة.¹

ولقد اختلف أهل الاختصاص في تحديد المقصود من التحقيق، فمنهم من يرى أنه لا يتعدى ضبط النص، ومنهم من زاد على ذلك توضيح الغوامض وتخريج النصوص من مصادرها ووضع الفهارس وتنقيح الكتاب، وأضاف آخرون إلى ذلك توزيع فقرات المخطوط وتفصيل أبوابه وترقيم صفحاته²، ولكن الشيء الذي يجمع كل هذه الآراء هو الهدف من وراء التحقيق والذي هو: إحياء المخطوط والإفادة به.³

1/ تعريف تحقيق المخطوطات :

1/1- حول مفهوم التحقيق:

أ/ لغة:

جاء في لسان العرب: « حقق الرجل إذا قال هذا الشيء هو الحق، كقولك صدق ويقال أحققت الأمر إحقاق إذا أحكمته وصحته»⁽⁴⁾ و «حقق: يحقق تحقيقا، وحقق الأمر: يتقنه، وحقق النص أو الكتاب: ثبت منه بطرق التحقيق المختلفة. »⁽⁵⁾ أما في المعاجم الأجنبية فقد وردت بمعنى: يقال عن النسخة الموثقة الأكيدة الممضاة وكذا الأصلية.⁶

ب/ اصطلاحا:

التحقيق هو: "إخراج الكتاب بالشكل الذي يسعى إليه المؤلف ويخرجه كما لو كان حيا بتقديم النص مقروءا، ومشكولا وموثقا، وإثبات صحة النص وعنوانه لمؤلفه بدليل علمي قاطع والسهر على النص سهرا كليا، لتثبيت كل ما في النص من كلام وشواهد وأعلام مع العناية الدقيق بضبط الكلمات التي تحمل أكثر من قراءة، فهو إذا عملية إحياء نص قديم وعرضه عرضا علميا دقيقا وهذا هو الأصل."⁽⁷⁾

والتحقيق نجده أيضا بمعنى: الاجتهاد في جعل النصوص المحققة ونشرها مطابقة لحقيقتها كما وضعها صاحبها ومؤلفها، من حيث الخط واللفظ والمعنى، كما أنّ تحقيق الكتب والمخطوطات والنصوص فرع من فروع البحث العلمي، يُراد به التثبت من سلامة النص عن طريق جمع النسخ المختلفة له، ومعرفة تاريخها ومقابلة بعضها ببعض، وذكر الاختلافات بينها واختيار الأقرب منها للصواب.⁸

كما أن التحقيق هو: عملية مركبة تقتضي إخراج نص مضبوط يكون على الصورة التي قاله عليها صاحبه، أو أقرب ما يكون إلى ذلك على الأقل، والذي اتفق عليه شيوخنا المحققون من ذلك: أن يؤدي نص الكتاب أداءً صادقاً، كما وضعه مؤلفه كما وكيفاً بقدر الإمكان.⁹

والملاحظ أن مجمل التعاريف ترى في التحقيق عملية إحياء المخطوطات، وهذا يقودنا إلى القول إن تحقيق مخطوط تحقيقاً جاداً أصعب من تأليفه، سواء من حيث بذل الجهد الفكري أو من حيث الجانب الخلفي والأمانة العلمية.

فهو عملية علمية الغاية منها نقض الغبار عن النصوص القديمة وإعادة صياغتها في محاولة لاسترجاع التراث المخطوط الذي خضع لأنواع من الزيادة والحذف والتحريف والتصحيح في ظروف زمنية مختلفة، إضافة إلى الكشف عن الحقيقة الكامنة فيه بإحكام ضبطه وتصحيحه، أي استخراج الحقيقة التي طمرتها عوادي الزمن وعوامل النساخة وإخراجه أقرب ما يمكن إلى الصيغة التي وضعه عليها مؤلفه أول مرة، وما يقترب من معاني ما نقصده اليوم من لفظ التحقيق: لفظ التحرير والتدوير قديماً.¹⁰ ، فالتحرير جاء في أدب الكتاب لأبي بكر الصولي (ت335هـ): يعني تحرير الكتاب: خلوصه، كأنه خلص من النسخ التي حرر عليها وصفاً عن كدرها.¹¹ وفي أساس البلاغة للزمخشري (ت538هـ) حرر الكتاب: حسنه وخلصه بإقامة حروفه وإصلاح سقطه فتحير الكتاب: خلوصه وتقويمه.¹²

أما التدوير: جاء في المقابلة الثانية عشرة من كتاب المقالسات لأبي حيان التوحيدي قول أبي بكر الخوارزمي الكاتب (ت383هـ) عن صعوبة التحقيق من قراءة نص قديم وفهمه، بحيث تهافت قوته ويجد نفسه عاجزاً عن إدراك كلمة منه، وهنا تتضح المفارقة بين إبداع نص جديد وترقيع نص قديم. قال: «لأن رقع ما هوى يحتاج إلى تدوير قد فات أوله من جهة صاحبه الأول... وذلك شبيه بعلم الغيب، وقل من ينفذ في حجب الغيب مع العوائق التي دونه، وليس كذلك إذا افترع هو كلاماً وابتدأ فعلاً.»⁽¹³⁾

وهذا يذكرنا بقول الجاحظ (ت255هـ): «ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً أو كلمة ساقطة فيكون إنشاء عشر ورفات من حرّ اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام.»⁽¹⁴⁾

أما عند المستشرقين فقد استعملوا في العصور الحديثة اصطلاح نقد النصوص (la critique des textes) والمراد به عندهم التفكير النظري في تصحيح الكتب فالحقق عندهم هو الناقد، فقد ظهرت محاضرات المستشرق الألماني بيرجستراسر (1933م) بعنوان: أصول نقد النصوص ونشر الكتب، وجاء في التقديم له: «إن نقد النصوص القديمة من شعر أو غيره علم من جهة وصناعة واصطلاح من جهة أخرى، وقد نشأ هذا العلم وترعرعت هذه الصناعة في أوروبا منذ القرن الخامس عشر بعد الميلاد، وذلك حينما اهتم القوم هناك بإحياء الآداب اليونانية واللاتينية.»⁽¹⁵⁾ ليسيع بعد ذلك في العالم العربي حديثاً مصطلح التحقيق بمعنى ضبط النص القديم وإخراجه علمياً وفنياً في ضوء مناهج علمية للتحقيق.

2/1- المخطوطات:

أ/ لغة:

هي مشتقة من «خط»، ج خطوط: تصوير الكلام أو اللفظ أو خواطر الفكر بكتابة حروف أو رسم إشارات اصطلاحية أو علامات مقرر، مخطوط: الذي رسم وخط بالكتابة ورقة مخطوطة: كتاب أو نص مكتوب باليد لم يُطبع بعد»⁽¹⁶⁾

ونقول مخطوط / مخطوطة ج. مخطوطات: مكتوب بخط اليد وكل ما كُتب باليد ولم يُطبع.¹⁷

ولقد وردت لفظة مخطوط (manuscrit) في المعاجم الأجنبية بمعنى:

المخطوط هو كل ما كُتب أو نُقل بخط اليد: مخطوط على الورق، على جلد رقيق يُحْمَر للكتابة، على ورق ذو نوعية ممتازة، مخطوط مزخرف أو به منمنات جمع المخطوطات، فك شفرة.¹⁸

ب/ اصطلاحاً: إنّ المخطوطات ذلك النوع من الكتب التي كتبت بخط اليد لعدم وجود الطباعة وقت تأليفها، وتمثل المخطوطات مصادر أولية للمعلومات موثقة وتخص دراسة موضوعات متعددة، ويعتمد عدد الباحثين بشكل كلي أو جزئي على المعلومات الواردة في المخطوطات.¹⁹

والمخطوط مصطلح لأية وثيقة مكتوبة باليد أو بالآلة الطباعة أو الحاسوب الشخصي وتستعمل الكلمة للتفريق بين النسخة الأصلية لعمل

كاتب ما والنسخة المطبوعة، كما يشير المصطلح لأية وثيقة تاريخية مكتوبة باليد منذ العصور القديمة حتى ظهور الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي.²⁰

2/المعالجة الرقمية للمخطوطات:

1/2- تعريف رقمنة المخطوطات:

الرقمنة هي عملية تحويل البيانات إلى شكل رقمي، وذلك من أجل معالجتها باستخدام الحاسب الإلكتروني، وفي مجال نظم المعلومات تشير الرقمنة إلى تحويل النصوص المطبوعة أو الصور إلى إشارات ثنائية باستعمال جهاز الماسح الضوئي كما أنها تسمح بعرض نتيجة ذلك على شاشة الحاسب.²¹

وتعرف أنها الوسيلة التقنية التي تعمل على تحويل الصورة الورقية أو أي من الحوامل التقليدية للوثائق إلى صور إلكترونية فالوثائق المرقنة تصبح وثائق إلكترونية، والرقمنة تهتم بكل الوثائق ويمكن إجراؤها انطلاقاً من مختلف الحوامل كالورق، المصغرات الفيلمية، الأشرطة المغناطيسية أشرطة الفيديو، وغيرها.²²

ولقد جاءت المكتبات الرقمية كواحدة من نواتج تلك الثورة التي شهدتها الألفية الثالثة لتحل مكانها كدعامة أساسية من دعائم المجتمع وأهلها لذلك تاريخ المكتبات العريق الذي أثبت قدرتها على التكيف والمواءمة مع مختلف المجتمعات والبيئات.²³

ومن مزايا المكتبات الرقمية:

تحمل المكتبة الرقمية مجموعاتها إلى المستفيد حيث هو، إذ توجد مكتبة حيثما يوجد حاسب إلكتروني رُبط بشبكة الإنترنت، والإفادة من قوة الحاسبات في استرجاع المعلومات وتصفحها إمكانية تقاسم المعلومات، سهولة تحديث المعلومات، إمكانية إتاحة المعلومات بصورة دائمة وعى مدار الساعة، إمكانية إتاحة أشكال جديدة من المعلومات يُمكن تخزينها وبها عبر الوسائط المتعددة المختلفة.²⁴

2/2- خصوصية رقمنة المخطوطات:

إنّ عملية الرقمنة تأخذ شكلين أساسيين:

الرقمنة بشكل صورة (mode image) و الرقمنة بشكل نص (mode texte) نظرا لخصوصية الخط العربي المكتوب بشكل خاص، وخصوصية المخطوطات العربية بشكل عام، فإنه من الصعب اعتماد الرقمنة بشكل نص، وإنما الاكتفاء بالشكل الثاني وهو الرقمنة بشكل صورة لأسباب خاصة بالمخطوط نفسه وأسباب أخرى تتعلق بتقنية الرقمنة بحد ذاتها.²⁵

3/2-متطلبات رقمنة المخطوطات:

تتطلب عملية رقمنة أرصدة المخطوطات عدة عوامل أساسية يمكن التعرض لها في مايلي :

-الموارد البشرية :

يعتبر العامل البشري ممّا في معادلة رقمنة الأرصدة الوثائقية، وخاصة العاملين المؤهلين في ميدان الرقمنة وكذلك الإمكانيات المادية التي تمتلكها المكتبات لتأهيل أو انتداب عاملين لإنجاز مشاريع الرقمنة، وهذه المشاريع تتطلب عددا كبيرا من العاملين بقدر ما تتطلب عاملين أكفاء.²⁶

-الموارد المالية :

تختلف تكلفة رقمنة الأرصدة الوثائقية باختلاف مشاريع الرقمنة وهي مرتبطة بممولين لهم تجارب سابقة في هذا الميدان، وهذا ما يُصعب على المكتبات حصر تكاليف الرقمنة.²⁷ وتتمثل هذه التكلفة في العمليات الفنية لكل مخطوط وتحديد الواصفات التفصيلية للمخطوط وتكلفة البرامج لإدخال الواصفات وهذا يخص تكاليف تحضير مخطوط للرقمنة، أما عملية الرقمنة في حدّ ذاتها فإنها تتعلق بالأعمال التقنية، الماسح الضوئي، ودقة الصورة، والمعالجة، والمراقبة.²⁸

-التجهيزات:

وتتمثل التجهيزات التي يجب توفرها لرقمنة المخطوطات في مايلي:

الماسح الضوئي :

تمثل ممّمة جهاز الماسح الضوئي (scanner) بالأساس في تحويل صورة موجودة على الورق أو على فيلم شفاف إلى صور إلكترونية بهدف إحكامية معالجتها ببرامج خاصة مثل الفوتوشوب (Photoshop) ثم إخراجها في صورة مُنتج نهائي إما مطبوعاً لأغراض النشر المكتبي وإما مُقدماً على الإنترنت.²⁹

الحواشيب:

حاسوب (serveur) لوضع قاعدة البيانات المرقمة يعمل بنظام (windows).
حاسوب خارجي لطباعة الصفات الخاصة بكل مخطوط وطبعات لاستخراج المعلومات اللازمة .
ناسخ الأقراص (graveur) لاسترجاع البيانات المرقمة وتسجيلها على أقراص قابلة للتسجيل.³⁰

3/مدى استيعاب تحقيق المخطوطات في الجزائر للمعالجة الرقمية :

إن عملية تحقيق النصوص هي علم من جهة وصناعة واصطلاح وممارسة من جهة أخرى ، والمقصود بعبارة إحياء التراث في عُرف المحققين والنقاد إبراز نصوص المخطوطات محققة موثقة قدر الإمكان ، مع الوثوق بعنوان المخطوط والثقة باسم مؤلفه ونسبته إليه ، وهكذا كانت متابعة ومراعاة هذه الضوابط والمعايير تساعدنا على أن نخرج نصاً موثقاً أقرب ما يكون إلى الصورة الأصلية على يد صاحبه ، ولا ينبغي أبداً توجيه مسار التحقيق إلى معنى أن نلتبس للأسلوب النازل أسلوباً هو أعلى منه أو نحل كلمة محل أخرى بدعوى أنها أولى بمكانها ، فهذه أساليب لا يرضيها التحقيق وتعد انتهاكاً خارقاً للنص الأصلي وتضييعاً للأمانة التي يجب التحلي بها فالتحقيق ليس تحسيناً وتصحيحاً، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ . فهذه اعتبارات تاريخية صارمة لها حرمتها، ولقد ارتأيت أن يكون محور الحديث هو نبذة عن واقع تحقيق المخطوطات في الجزائر وبالأخص في البحث الأكاديمي الجزائري، للكشف عن جوانب من واقع المخطوطات في الجزائر دراسة وتحقيقاً وفهرسة ورقمنة .

إن دراسة المخطوط في الجزائر أصبح ضرورة ملحة في الوقت الحاضر باعتبار أن الحفاظ على المخطوط يعني الحفاظ على الهوية والتراث الوطني في الجزائر ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال وضع سياسة وطنية في مجال المخطوطات والتوثيق بما في ذلك تحديد الطرق العلمية لتنظيم هذا الإرث الفكري الحضاري الذي تزخر به مختلف المكتبات والخزانات في الجزائر ومعالجته بالطرق العلمية والفنية الحديثة، ثم إتاحتها للباحثين، ضف إلى ذلك ضرورة الاعتماد على التكنولوجيات الحديثة في الحفاظ عليه من التلف والضياع ، فعلى الرغم من قيمتها التاريخية والفنية إلا أنها مازالت حبيسة الرفوف والدهاليز، ولكن نلاحظ في الفترات الأخيرة اهتماماً متزايداً من قبل المسؤولين والمؤرخين للتراث الثقافي والحضاري.³¹

فلقد نُظمت ندوات ومؤتمرات وطنية ودولية وملتقيات علمية من طرف مخابر اهتمت بجمع ودراسة وتحقيق المخطوطات، إضافة إلى طرح قضايا متعلقة بهذا الجانب، فلقد أشار الشيخ العلامة الجابري سالت في الملتقى الدولي حول علم صناعة المخطوط من تنظيم مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة بجامعة الجلفة، إلى أن العمل المهم والكبير المنتظر من إنشاء المراكز الوطنية للمخطوطات هو الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة، حيث أكد على ضرورة استغلال عصر الرقمنة في الإبداع التكنولوجي واستخدامها في تسليط الضوء على هاته المخطوطات، وضرورة مساعدة العائلات في الحفاظ على هذا التراث وترميمه ووضع بين أيدي الدارسين والباحثين من أجل التحقيق والكشف على ما تحتفظ به الجزائر من تاريخها وهويتها.³²

ولقد أشار المشاركون في الملتقى إلى ضرورة توسيع دائرة التعاون النظري والميداني بين الجامعة وكل الشركاء والمختصين من زوايا ومكتبات ودور نشر في مجال المخطوط صناعة ودراسة وتحقيق، كما شددوا على أهمية رصد فكرة الحماية القانونية للمخطوط وحقوق المؤلف والمحقق في مجال الملكية الفكرية.³³

ومن جهة أخرى نجد مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية بشمال إفريقيا الكائن مقره بوهراڤ قام بفهرسة أزيد من 800 مخطوط من مخازن المخطوطات المنتشرة عبر الوطن، حيث ذكر الأستاذ الدكتور بن نعمة عبد المجيد المشرف على المخبر أن المخطوطات المفهرسة والمحققة تعود لأحقاب زمنية مختلفة من تاريخ الجزائر، وتتناول مجالات شتى أبرزها الفقه والتاريخ والأدب والفلسفة والفلك والدراسات التراثية، ولقد ساهمت هذه الأعمال الأكاديمية المنجزة على المخطوطات النفيسة في إثراء جوانب مضيئة من التاريخ الوطني.³⁴

وتستمر عملية التنقيب والفهرسة والتحقيق التي يقوم بها 32 باحثاً على مستوى هذا المخبر، وحسب المشرف فإنه على الرغم من الصعوبات والمشقة والتكاليف المالية إلا أن عدد الباحثين في تزايد مستمر، ويذكر أن من أكثر الصعوبات التي تواجههم اعتراض بعض ملاك خزائن المخطوطات والزوايا على تحقيق المخطوطات التي توارثوها بحجة الخوف من ضياعها والاعتقاد في قداستها.³⁵

وإضافة إلى ذلك فقد اهتم باحثو هذا المخبر بمخطوطات مؤلفين استقروا بالجزائر قدموا من المشرق وبلاد الأندلس، ويتم استغلال هذه المخطوطات من خلال فهرستها ودراستها وتقديمها في إطار أبحاث أكاديمية، إضافة إلى تنظيم ملتقيات وطنية ودولية ودعوة علماء لعرض

الدراسات، ومن هذه الملتقيات ملتقى وهران وتندوف وأدرار وقسنطينة وغيرها من المدن، كما أن هذا الخبر يقوم بتكثيف المناهج وفق ما تقتضيه التقنيات الحديثة في مجالي التحقيق والإخراج، ولقد سمحت هذه الجهود في إنجاز 25 عملا في إطار دراسات الماجستير والدكتوراه تناولت مواضيع في الفقه والتاريخ والأدب.³⁶

ويقوم الخبر بجمع ونشر مختلف الأعمال والدراسات والبحوث حول علم المخطوطات في مجلة دورية تحمل اسم المجلة الجزائرية للمخطوطات، ومن بين المخطوطات المحققة صدر عمل لمخطوط تاريخ ميورقة لأبي المطرف أحمد بن عميرة الخزومي الذي قام بدراسته وتحقيقه الدكتور محمد بن عمر أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة وهران، ولقد تمت ترجمة الكتاب بإسبانيا إلى اللغتين الإسبانية والكاتالونية.³⁷ ونخصي بهذا آخر لخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا الذي سلط الضوء على قضايا المخطوطات الجزائرية واقعا وآفاقا ثم سبل جردها وإحصائها وفهرستها ثم تحقيقها، فكانت من أهداف الملتقى: محاولة وضع بيبليوغرافيا للمخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا والاستعانة بجديد البحث العلمي في قضايا جرد المخطوطات وفهرستها ورقمتها ومناهج بحثها.³⁸

ولقد كان من أهم محاور الملتقى المغاربي الثاني بجامعة الجزائر -2- : الدراسة والتحقيق -لأشهر المحققين في التراث الجزائري³⁹، في حين شهد الملتقى الوطني السادس حول التراث الثقافي بالوادي مداخلات من أهمها: مداخلة الأستاذ بركة شوقي من جامعة بسكرة بعنوان: التراث العربي والجزائري المخطوط في الدراسات والكتابات الغربية ومحاولات التحقيق الترجمة والتعريف، مداخلة بعنوان فهرسة وتحقيق المخطوطات في الجزائر من تقديم الأستاذ العيد حاج فويذر من المركز الثقافي الإسلامي بأدرار ومداخلة الأستاذ عبد الكريم بلالي بن السي حمو مولاي المهدي من جامعة أدرار بعنوان: جهود الجامعات الجزائرية تجاه المخطوطات.⁴⁰

إن لكل أمة من الأمم تراثها المخطوط الذي يستوعب نتاجها الفكري في مختلف مجالات المعرفة والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان هل نحن في عصر المخطوطات المطبوعات خاصة وأن الفكر الإنساني بل الحضارة الإنسانية قد تبدلت من حال إلى حال، وأصبح عالم المنشورات اليومية في كل دقيقة بل في كل ثانية وعبر فضاءات متعددة يتيح للأفكار أن تنتشر انتشارا لم يكن إليه سبيل في عصر المخطوطات.⁴¹

فإذا كان لكل علم صناعة فإن علم التحقيق يتطلب لمن يهتم به أن يكون على علم بنسخ المخطوطة التي سيتصدى لتحقيقها والعمل على نشرها في شتى مكتبات العالم المختلفة وجمعها وتصنيفها والمقابلة بينها من أجل استخراج النسخة الأم مع توثيق عنوان الكتاب ونسبته إلى مؤلفه من خلال تمرسه بأسلوب مؤلفه ومراجعة كنه ومراقبة سياقات كلامه⁴²، وبعد ذلك يتصدى لضبط النص مع إصلاح التصحيف والتحريف الذي ورد فيه وعلم تحقيق المخطوطات من أجل العلوم قدرا وأرفعها شأنًا لكنه صعب كون المحقق قد يواجه في الكتاب الواحد علوم مختلفة بقضايا متشعبة ومسائل متداخلة ومشكلات متعددة وهو ملزم بتوثيقها من مظانها وشرح غامضها وتقريب شاربها، بالإضافة إلى استعانة بمعارفه وتجارب، فهو يحتاج إلى معطيات أخرى هي من صميم علم المخطوط كدراسة نوع الورق وتركيب الحبر وشكل التفسير ودراسة الطرز والتقايد المختلفة الموجودة في الكتاب المخطوط.⁴³

وهذه أمور أخرى تُيسر سيرها التكنولوجية وعلم الرقمنة الذي أصبح مساهما وعاملا مسهلا في سير حركة التحقيق وعمل المحقق، فالجزائر تحتفظ بكنوز نادرة من المخطوطات مازالت حبيسة الرفوف ودهاليز المكتبات والزوايا، ولكن ازداد اهتمام المؤسسات التوثيقية والمكتبات الجامعية بصفة خاصة بهذا التراث من أجل إعادة إحيائه في السنوات الأخيرة.

ولعل أهم دليل على توجه الجزائر إلى الاهتمام بالمخطوطات هو مشروع رقمنة الرصيد الوثائقي الموجود على مستوى المكتبة الوطنية الجزائرية والذي انطلق بمطلع 2009 يتجسد من خلال رقمنة المخطوطات و الكتب القديمة حيث تم إلى يومنا هذا رقمنة 1200 مخطوط من أصل 4200 الموجودة في الرصيد.⁴⁴

وبعد مشروع رقمنة مخطوطات مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية نموذجًا لجهود الجامعات الجزائرية في مجال رقمنة المخطوطات، بحيث جاءت المكتبة الرقمية لجامعة الأمير عبد القادر لاستثمار كافة الإمكانيات المادية والبشرية المتاحة لديها وتسخيرها في خدمة المجتمع ومتطلبات العصر في وقت أصبحت تمثل فيه البيئة الإلكترونية للمعلومات التي ازدادت كماً ونوعاً بوجود شبكة الإنترنت محور اهتمام العاملين في مجال المكتبات والمعلومات، محاولة منهم السيطرة عليها وتنظيمها للاستفادة منها بأقل جهد وبسرعة ممكنة، ولقد بدأ مشروع المكتبة الرقمية سنة 2002 مع تحديد أربع سيات أساسية للمكتبة الإلكترونية وهي: قدرة النظام الآلي على إدارة مصادر المعلومات، والقدرة على ربط مصادر المعلومات بالمستفيد، وقدرة العاملين على تلبية احتياجات المستفيدين، والقدرة على تخزين المعلومات وتنظيمها ونقلها إلكترونياً واستيعاب التقنيات الجديدة في عصر الإلكترونيات لدعم قدرتها على تقديم خدمات جديدة متطورة.

وتكمن أهمية المكتبة الرقمية لجامعة الأمير عبد القادر في مواجهة تحديات ثورة المعلومات والاتصالات الحديثة في عالمنا المعاصر وتنوع احتياجات الباحثين والدارسين ورغبتهم في الحصول على معلومات سريعة حديثة، كما أنها تجعل الاستفادة على اتصال مباشر بقواعد ونظم المعلومات المتطورة من خلال الاستخدام الأفضل والإمكانات والتسهيلات التي تتوفر عليها.⁴⁵ فهي تعد أول مكتبة رقمية في الجزائر وقد تم توسيع مجال تغطيتها الموضوعية لتشمل باقي التخصصات، وبدأ النظام برقمنة أمحات الكتب في العلوم الشرعية كرحلة أولى حيث بلغ رصيد المكتبة الرقمية حوالي 4000 كتاب مرقم يتم استغلالها محليا من خلال الشبكة المحلية للجامعة، ثم الانتقال إلى باقي الأوعية الفكرية لرصيد المكتبة ألا وهي المخطوطات.⁴⁶

وتساعد الرقمنة وبخاصة في المكتبات الجامعية على: طباعة المعلومات عند الحاجة وإصدار صور طبق الأصل، وسهولة وسرعة تحميل المعرفة والمعلومات، والحصول على المعلومات بالصوت والصورة والألوان، وتطوير البحوث العلمية.⁴⁷ أما أهميتها بالنسبة للمخطوطات: حماية المخطوطات من التلف والضياح، حيث تمكن تكنولوجيا الرقمنة من نقل جميع المخطوطات على وسيط إلكتروني يساعد المستفيد على الاطلاع على المخطوط دون الحاجة للرجوع إلى المخطوط الأصلي إلا في حالات خاصة، وهذا يقلل من إمكانية تعرض تلك المخطوطات للتلف والضياح وخاصة المخطوطات القديمة، وضع المخطوطات المرقمنة على شبكة الإنترنت يساعد الباحثين للوصول إليها عن بعد بدون جهد وبأقل تكلفة.⁴⁸

خاتمة:

يراد بتحقيق النصوص أمران أساسيان أولهما: ضبطه وإخراجه أقرب ما يكون إلى الصيغة الأصلية على يد مؤلفه في ضوء اتباع قواعد التحقيق، وثانيهما: التعليق عليه بدفع كل غموض يعتريه وتقديمه للقارئ في صورة واضحة ومفيدة. تساهم الرقمنة في حماية المخطوطات من التلف والضياح وفي الوقت نفسه تُسهّل طريق الوصول إليها وعملية التعامل معها وهذا يعكس ثنائية التراث والحداثة وكيف يمكن إسقاط الحداثة وترسيخ وسائلها للحفاظ على هوية التراث، ويعتبر مشروع رقمنة مخطوطات مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية خطوة واعية نحو الحفاظ على التراث الجزائري المخطوط وعاملا محفزا وداعما وفاسحا المجال للجهود مستقبلية محممة بدراسة هذا التراث تحقيقاً أو فهرسة أو رقمنة وهذا يتم عن وعي فكري وحضاري لأهمية هذا الإرث ويعكس صورة حسنة عن واقع تحقيق المخطوط في الجزائر وخاصة في البحث الأكاديمي، ولكن لا تعتبر هذه نقطة النهاية بل هي بداية الطريق لأعمال وإسهامات مستقبلية متواصلة.

الهوامش:

- ¹ - ينظر: إياد خالد الطبايع: منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، دار الفكر، ط1، دمشق، 1423هـ-2003م، ص9.
- ² - ينظر: فهد سعد وطلال مجذوب: تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق مع تحقيق ودراسة الرسالة الأولى لأبي دلف الخزرجي، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1413هـ-1993م، ص19.
- ³ - ينظر: المرجع نفسه، ص29.
- ⁴ - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت، مج4، ص176.
- ⁵ - المعجم العربي الأساسي، تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص336.
- ⁶ - Voir :dictionnaire de l Academie francaise 4eme edition .p248.
- ⁷ - محمد التونجي: المهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، عالم الكتب، ط2، بيروت، لبنان، 1415 هـ، 1995 م، ص172.
- ⁸ - ينظر: عباس هاني الجراح: تحقيق النصوص الأدبية واللغوية ونقدها، دراسة تحليلية مقارنة مع المناهج العربية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 1432هـ، 2011م، ص. ص19، 20.
- ⁹ - ينظر: عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1993م، ص134.
- ¹⁰ - ينظر: نخبة من الأساتذة: التحقيق النقدي للمخطوطات: التاريخ القواعد والمشكلات، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، ط1، لندن، بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ابن مسيك، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، 1434هـ، 2013م، الصفحات9-33، 34.
- ¹¹ - ينظر: أبو بكر الصولي: أدب الكتاب، عني بتصحيحه محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، دت، ص156.
- ¹² - ينظر: نخبة من الأساتذة: التحقيق النقدي للمخطوطات، ص34.
- ¹³ - أبي حيان التوحيدي: المقابسات، تح: محمد توفيق حسن، مطبعة الإرشاد، ط2، بغداد، 1989م، ص46.
- ¹⁴ - الجاحظ: الحيوان، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1424هـ، ج1، ص79.
- ¹⁵ - ينظر: نخبة من الأساتذة: التحقيق النقدي للمخطوطات، ص.ص35، 36.
- ¹⁶ - المنجد في اللغة العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص.ص398-402.
- ¹⁷ - ينظر: المعجم العربي الأساسي، المرجع السابق، ص407.

¹⁸ - Voir : l'Hist et ses méth 1961 p.545

- ¹⁹ - ينظر: عامر إبراهيم وآخرون: مصادر المعلومات من عصر المخطوطات إلى عصر الأتترنت، دار الفكر، دط، عمان، 2000، ص.44.
- ²⁰ - ينظر: عمر أحمد همشري: أساسيات علم المكتبات والمعلومات، دار الشروق، دط، عمان، 1997 م، ص.74.
- ²¹ - ينظر: صلاح حسين العبيدي: الملامح الفنية والتقنية للمخطوط الإسلامي، ع51، مجلة التراث: آفاق الثقافة والتراث، دبي، مركز جمعة الماجد، 2005، ص.157.
- ²² - ينظر: نجمة بن عاشور: الفهرس التحليلي للمخطوطات العربية التي لم تشملها أدوات الضبط الببليوغرافي، المكتبة الوطنية، الجزائر، جامعة الجزائر، 1993م، ص.466.
- ²³ - ينظر: فراج عبد اللطيف: مفاهيم أساسية في المكتبات الرقمية، مجلة المعلوماتية السعودية ووزارة التربية والتعليم، ع10، 2005، ص.38.
- ²⁴ - ينظر: صالح محمد عماد: مشروعات المكتبة الرقمية في مصر، دراسة تطبيقية للمتطلبات الفنية والوظيفية، القاهرة، جامعة حلوان، 2004م، ص.3.
- ²⁵ - ينظر: حافظي زهي، مزلاح رشيد: فهرسة ورقمنة مخطوطات مكتبة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ووضعها في شبكة الأتترنت، cybrarians journal، دورية علمية محكمة تعنى بمجال المكتبات والمعلومات، العدد 28، مارس 2012، 2017/02/21، 10:20، cybrarians journal E.ISSN1687.2215.
- ²⁶ - ينظر: عبد الرحمن فراج: مفاهيم أساسية في المكتبات الرقمية، المعلوماتية، العدد العاشر، قسم المكتبات والمعلومات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 2017/02/25، 10:20.
- <http://www.informatics.gov.sa/magazin-04-10-2010>
- ²⁷ - sara, Gould richard.Enquête sur la numérisation et la présentation 20/5/2010 Disponible sur <http://www.unesco.org/web word/ mdn/ serveur tf.fr>
- ²⁸ - BNF la numérisation à la BNF. Construction et technique. 6/6/2010 disponible sur <http://www.bnf.fr>.
- ²⁹ - sara Gould richard. op. cit
- 30- ينظر: حافظي زهير، مزلاح رشيد: المرجع السابق.
- 31- المخطوطات في الجزائر: الواقع والرؤيا المستقبلية، ملتقى وطني، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، 2012-10-22-21م، قسنطينة، 2017/02/25، 10:30 .
www.djelfa.info.vb/shwthread.php?t=1008225
- 32- ينظر: مداح مختار زكريا: علم صناعة المخطوط، ملتقى دولي، من تنظيم مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة بجامعة الجلفة، 2017/02/26، 11:45 نقلا عن:
www.djelfa.info
- 33- ينظر: المرجع نفسه.
- 34- ينظر: مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية بشمال إفريقيا، فهرسة أزيد من 800 مخطوط بوهرا، المواطن، يومية إخبارية وطنية، 2009/5/22، محرك بحث إخباري جزائري،
2017/02/26، 13:00
www.djazairss.com/elmowatan/4399
- 35- ينظر: المرجع نفسه.
- 36- ينظر: المرجع نفسه.
- 37- ينظر: مخبر المخطوطات الإسلامية بشمال إفريقيا، المرجع السابق.
- 38- ينظر: المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا واقع وآفاق، تنظيم مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا (الجامعة الإفريقية أدرار)، بالتعاون مع المركز الوطني للمخطوطات، 3-4-2013، 2017/02/26، 14:15، شبكة ضياء، diae.net/12019.
- 39- ينظر: نسرین أحمد زاوي: الملتقى المغاربي الثاني حول التراث العربي المخطوط المحفوظ في الخزائن الوطنية و خزان بلان المغرب العربي بين الفهرسة والتحقيق والنشر، يومي: 04-11/05، مخبر المخطوطات بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر-2، بوزريعة، نشر في الجزائر الجديدة يوم 2014/04/10، جزائري، 2017/02/26، 16:20،
www.djazairss.com.
- 40- ينظر: بشير خلف: خزائن المخطوطات بالجزائر بين نوازع الانكفاء وآليات الصمود والارتقاء، الملتقى الوطني السادس، بالوادي، 2013/05/13-12، تنظيم مديرية الثقافة بالوادي بالتنسيق مع مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا، جامعة أدرار، أصوات الشمال مجلة عربية ثقافية اجتماعية شاملة، 2017/02/27، 18:30
www.aswat.elchamal.com
- 41- ينظر: نخبة من الأساتذة: التحقيق النقدي للمخطوطات، المرجع السابق، ص.79.
- 42- ينظر: المرجع نفسه، ص.79.
- 43- ينظر: المرجع نفسه، ص.473.
- 44- ينظر: حافظي زهير، مزلاح رشيد: المرجع السابق.
- 45- ينظر: المرجع نفسه.
- 46- ينظر: عبد الكريم عوفي: التراث الجزائري المخطوط بين الأمس واليوم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع20، دبي، مركز جمعة الماجد، 1998م، ص.103.
- 47- ينظر: الصوفي عبد اللطيف: المراجع الرقمية والخدمات المرجعية في المكتبات الجامعية، دار الهدى للطباعة، قسنطينة، 2004م، ص.168.
- 48- ينظر: غينشا كلير: علوم وتقنيات المعلومات والتوثيق مدخل عام، يونيسكو، دط، تونس، 1981م، ص.251.